



ولي الدين بك يكن

٢

باريس عاصمة ملك حُدَيْتِ عَلَى غير منوال
 اذا اطرى الواصفون بلدةً قالوا : هي الجنة ، أنهارها جارِية ، وبنائياتها
 شامخة ، ورياضها يانعة ، وأشجارها ثامرة ، واعدادها زاهرة . . . أوصافُ
 ابتدئتها اقلامُ الكاتِبين ، ووقفت عندها بديهة الشعراء
 أما باريس فلا تتناولها هذه الاوصاف . كل شيء هو دون

ما وُصفَ به ، الا باريس فهي فوق ما وصفت به
قال اكثر الناس : الجمالُ غريبٌ لا وطن له . . . كذبوا . باريس
وطنهُ ومشرقُ شمسهِ

الذين رأوا باريس عرفوا محاسنها وهم فيها . وابتاؤها عرفوا محاسنها
وهم فيها . فلما فارقوها امتحت صورُها من اذهانهم إلا قليلاً بقي بها
ما تحتملها العقولُ وانضوى ما لا تحتمله . هذه محاسن ترتعُ فيها النفوسُ
والنواظرُ معاً . وفيها ما يدخلُ النفوسَ لا عن طريق الاستشعار ، بل عن
طريق الادراك . وحين تزايدُ الابصارُ اشكالها تزايدُ البصائرُ خيالاتها
الطرقاتُ السوية ، والقصورُ العالية ، والمصاييحُ المتلاثلة ، والجسورُ
الممتدة ، والكنائس المرتفعة ، والدثمي المنصوبة ، والمصانعُ العاملة والأندية
الحافلة يتأودُ بينها برجُ ايفل ،^(١) كأنه خطيبُ الحرية بين تلك المعجائب ،
بل كأنه حارس القضاء ، موكل بسكان الباثيون^(٢)

سبحانك اللهم ما اكبر قدرتك ، بل ما افصحها وابلغها من قدرة . . . :
البلدة الطيبة التي فرعت الحوادث مروتها ، ثم ضحكت لها وجوهها ،
رييبة العزّ على اختلاف انواعه : عز الجمال ، وعز العلم ، وعز الدولة . اختلفت

(١) برج عظيم في باريس يبلغ علوه ٣٠٠ متر بناه المهندس الذي اطلق
عليه اسمه

(٢) الباثيون كما بدل اسمه اليوناني الاصل هيكل . لجميع الآلهة ، بناه في
رومة القائد الشهير اغريبا صهر اغسطس قيصر . والباثيون في باريس بناية فخيمة
يدفن فيها عظام الرجال

فيها مواكب الابهة . دخلها هنري الرابع فاتحاً . وعاودها بونابرت ظافراً
ولكن تهادت فيها انطوانت^(١) الى ميدان القصاص . وهي بعد ذلك
رقت ودقت وحلت : فكانت الفاتنة يوم فرحها ، وكانت الفاتنة يوم ترحها
وان مواقع الجياد ، يوم دخلها غليوم الاول ، اهي مواقع القبل من
شفاه عشاقها . ذلك اديم تنبوعه الشقوة ، ويتفرق عليه النعيم
لم يسعدني الزمان بزورة لها ، ولم اشتقها ، ولم اشتاقها . . . وانما
عشقها الروح ، ولم ترها العين . وما كان عشقي لها على قدر ما نعتها به
الناعتون فاقول : « الاذن تعشق قبل العين احياناً » ولكن عشقي لها على
قدر معرفتي بها

بينني وبينها الفدافد والبحار . لم يستجل مراتها ناظراي . غير أن
نفسى حلقت بسماها وخواطري جالت في ارجائها
كلما انشدت بيتاً لهوغو أو لموسه ، خلّطني أنشد شعرها وأترجم
لذاتي عنها

حين أبصر الباريسي الظريف في حديثه الطيب ، وشمائله المليحة ،
أذكر باريس وحين أشاهد الباريسية في شعرها الذهبي ، وعينيها
السمويتين ، وحديثها العذب ، إخال جزءاً من باريس يتكلم ، بل أحسب
روح باريس تمثلت لعيني لتوحي الي معاني الشعر . ولترسل من أعماق
روحي كوامن الاعجاز

(١) ماري انطوانت قرينة لويس السادس عشر ملك فرنسا اعدمت سنة

١٧٩٣ ابان الثورة الفرنسية الكبرى

تغير باريس ما بين غمضة عين وانتباهتها : هكذا ينبغي ان تكون للجمال فيها كل آونة شأن جديد « الجمال فيها موضه » فلو تأملوا إحدى فائتاتها ، لألفوها صباحاً كالخوخة كللها الندى ، وفاح لها شذا ، ولراؤها ظهراً ، وقد تمشت فيها حرارة الشمس حتى لتجانبها الشفاء اشفاقاً ، بعد اذ تطامنوا لثماً . ولوجدوها مساءً وقد جمد قشرها وبرد ، حتى لتزل عنها الثنايا اذا حاولت لها عضاضاً

الله في باريس وفي قنن باريس : عروس اوربا « الغالية » ، بنت التمدين ، المثال الاجمل لكل شيء : يتشبهه الناس بأبنائها . يلبسون كلابسهم ، ويأكلون كما كلهم ، ثم ينطقون بالسنتهم ، ثم يغتدون بعلمهم كذلك كانت باريس ، وكذا ستكون

*
* *

تعالوا نبيكي على باريس في اطلالها ورسومها ، وفي اشلاء مواتها ، وفي قصورها المتداعية . ابتدرتها سوابق عبرات السماء بمتصلة الشآبيب ، وانشق لها صدر الغمام عن كل متداني الهيدب غداة اقبل عليها «السين» في اواذيه المتدافمة ، وازباده المترامية

كم مقلة بالامس يتكلم إنسانها عن الضبا ، جاد غربها اليوم بواكف هتان . وكم وجنة رق عليها ماء الشباب ، خذفتها مسيلات الدموع عبت تلك الوجوه الضاحكة ، وخت هاتيك المغاني الآهلة ، وعطت مصانع طالما اجادت تميق المحاسن في كل البلاد ، وباتت بلاد الله تندب حسناءها

قال احدُ ادياء الفرنسيين « لكل امريء وطنان : وطنه الاصلي
 ووطنه باريس » فليتكِ اذن على باريس كلُّ الناس ، فهي وطن كل الناس
 من حقها على من اكرمت وفادتهم ورحبت بهم منزلاً ، ونثروا عليها
 التبر وهي حالية ، ان يكرموها في مصابها ، وان ينثروا عليها التبر وهي عاطلة
 ساكبي باريس مستمداً دموع الغمام ، مستعينا بعيون النيرات . فان
 تنفدِ الدموع ، فانّ من الاسى ما يُجدده الشوق ، ويثنيه الغرام . سلامٌ على
 باريس في مصابها . سلام عليها في جلبابها الاسود . وكأنها العذراء بعثت
 لتدعو العالم الى السجود
 ولى الربى بكس

الغد

السيد مصطفى لطفي المنفلوطي أشهر من ان يعرف . فلقد نالت كتاباته الرائقة
 شهرة بعيدة وتناقلتها صحف القطرين . وهو مباشر الآن طبع كتاب تحت عنوان
 « النظرات » جمع فيه ما نشره على صفحات الجرائد والمجلات . وسيكون هذا
 الكتاب النفيس خير متحف جمع بين اسلوب الاقدمين وتفنن المحدثين . وسنعود
 اليه بالتفصيل بعد بروزه من عالم الطباعة الى عالم المطالعة . ونحن واثقون بان كل
 قارئ سيضمه في مكتبته الى كنبه الثمينة . وقد تفضل صاحبه بان يترك لنا اختبار
 ما نريد من « الملازم » التي نجز طبعها لنجلي به العدد الاول من هذه المجلة .
 ولذلك أتيج لنا ان تحف القراء بالمقالة الاولى من كتاب « النظرات » وهي تحت
 العنوان المتقدم :

عرفتُ أني فكرتُ ليلة الأمس فيما اكتب اليوم ، وعرفتُ أني
 ممسكُ الساعة قلمي بين أصابعي ، وأنَّ بين يدي صحيفة بيضاء ، تسودُ

قليلًا قليلًا ، كلما أُجريتُ القلمُ فيها . ولكنني لا أعلمُ هل يبلغُ القلمُ مداه ،
او يكبو^(١) دونَ غايته . وهل أستطيع ان أتمَّ رسالتي هذه او يعترض
عارضٌ من عوارضِ الدهرِ في سبيلها . لأنني لا أعرفُ من شؤونِ الغدِ
شيئًا . ولأن المستقبلَ بيد الله

عرفتُ أني لبستُ أثوابي في الصباحِ وأنني لا أزالُ البسها حتى
الآن . ولكنني لا أعلمُ هل أخلعها بيدي ، او تخلعها يدُ الغاسلِ
الغدِ شبحٌ مبهمٌ يتراءى للناظرِ من بعيدٍ فربما كان ملكًا رحيمًا .
وربما كان شيطانًا رجيماً . بل ربما كان سحابةً سوداءً ، اذا هبتُ عليها
ريحٌ باردةٌ ، حللتُ اجزاءها ، وفرقتُ ذراتها ، فاصبحتُ كأنما هي عدمٌ
من الاعدام التي لم يسبقها وجود

الغدِ بحرٌ خضمٌ زاخرٌ يعبُ عبابه^(٢) ، وتصطبغ امواجه^(٣) ، فما
يُدريكَ ان كان يحملُ في جوفه الدرَّ والجوهر ، او الموتَ الاحمر
لقد غمضَ الغدُ عن العقولِ ودقَّ شخصه عن الانظار ، حتى لو ان انسانًا
رفعَ قدمه ليضعها لا يدري أضعها على عتبةِ القصر ، او على حافةِ القبرِ
الغدِ صدرٌ مملوءٌ بالاسرارِ الغزارِ تحومُ حوله البصائرُ وتتسقطه^(٤) العقولُ
وتستدرجهُ الانظار ، فلا يبوحُ بسرٍّ من اسراره الا اذا جادت الصخرةُ
بالماء الزلال

(١) هذه الحواشي للمؤلف : كما يكبو كجوا سقط على وجهه

(٢) يعب عبابه يرتفع موجه (٣) اصطخبت الامواج ارتفعت اصواتها

(٤) تسقط الخبر اخذه شيئًا شيئًا

كأني بالغد وهو كامنٌ في مكمنه ، رابضٌ في مجتمه ^(١) متلفعٌ
بفضل إزاره ، ينظر الى آمالنا وأمانينا نظراتِ الهزوءِ والسُّخريةِ ، ويتسمُّ
ابتساماتِ الاستخفافِ والازدراءِ

يقول في نفسه لو علمَ هذا الجامعُ انه يجمع للوارث ، وهذا الباني انه
يبني للخراب ، وهذا الوالدُ انه يلدُ للموت ، ما جمعَ الجامعُ ولا بنى الباني
ولا ولدَ الوالد

ذالَ الانسانُ كلُّ عقبة في هذا العالم ، فاتخذَ نفقاً ^(٢) في الارض ،
وصعدَ بسلمٍ الى السماء ، وعقدَ ما بين المشرقِ والمغربِ بأسبابٍ من حديدٍ
وخيوطٍ من نحاسٍ ^(٣)

انتقلَ بعقله الى العالمِ العلويِّ فماش في كواكبه ، وعرف اغوارها
وانجادها وسهولها وبطاحها وعامرها وغامرها ورطبها ويابسها
وضعَ المقاييسَ لمعرفة أبعادِ النجومِ ومسافاتِ الاشعةِ ، والموازينَ
لوزن كُرَّةِ الارضِ مجموعةً ومتفرقةً

غاص في البحارِ فعرف اعماقها وفحصَ تربتها وأزعجَ سكانها ونبشَ
دفاتها وسلبها كنوزها وغلبها على لآلئها وجواهرها
نفذَ من بين الاحجارِ والآكامِ ^(٤) الى القرونِ الخاليةِ فرأى اصحابها

(١) مجتم الطائر موضع جنومه اي تلبده بالارض (٢) النفق السرب
في الارض ينتهي بمخرج • يشير الى نفق القطارات الحديدية في بطن الارض
في بعض البلاد (٣) الاسباب الحبال وكل ما يوصل بين الشئين • يشير الى
اتصال العلائق بين اقطار الارض بسبب قضبان الحديد واسلاك الكهرباء (٤) يشير
الى ما وقف عليه العلماء من الحقائق التاريخية بعد الاطلاع على الاثار التاريخية

وعرف كيف يعيشون ، وابن يسكنون ، وماذا يأكلون ويشربون
تسرب من منافذ الخواس الظاهرة الى الخواس الباطنة فعرف
النفوس وطباثتها . والعقول ومذاهبها . والمدارك ومراكزها . حتى كاد
يسمع حديث النفس وديب المنى

اخترق بذكائه كل حجاب ، وفتح كل باب ، ولكنه سقط أمام
باب الغد عاجزاً مقهوراً لا يجرأ على فتحه ، بل لا يجسر على فرعه ، لانه
باب الله . والله لا يُطلع على غيبه احداً

أيها الشبح الملتئم بلثام الغيب . هل لك ان ترفع عن وجهك هذا
اللثام قليلاً لترى لحة واحدة من لحات وجهك ، أولاً ، فاقرب منا
علنا نستطيع ان نستشف خيالك من وراء هذا اللثام المسدول فقد طارت
قلوبنا شوقاً اليك ، وذابت اكبادنا وجداً عليك

أيها الغد . ان لنا آمالاً كباراً وصفاراً ، وأماني حسناً وغير حسان .
فحدثنا عن آمالنا أين مكانها منك . وخبرنا عن امانينا ماذا صنعت بها .
أذلتها وأهنتها ، ام كنت لها من المكرمين

لا لا . صن سرك في صدرك ، وابق لثامك على وجهك ، ولا
تحدثنا حديثاً واحداً عن آمالنا وأمانينا حتى لا تفجعنا فيها ، فتفجعنا في
ارواحنا ونفوسنا فانما نحن احياء بالآمال وان كانت باطلة . وسعداء بالاماني
وان كانت كاذبة

وليست حياة المرء الا آمانيا اذا هي ضاعت فالحياة على الأثر

مصطفى لطفى المنفلوطى